أحوال السريان وأثرهم في بغداد
خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين
الثامن والتاسع الميلاديين

د. حنان عبد المنعم عبد الحكم عيسى(*)

مقدمة

أهمية البحث:

استمرت بغداد عاصمةً للخلافة العباسية لمدة خمسة قرون متوالية، مثَّل القرن الأول من نشأتها بدايةً لانطلاقة قوية وعصراً ذهبياً من عمر الدولة الإسلامية، حيث قامت بها نهضة اجتماعية واقتصادية وعلمية وفكرية راقية جذبت العلماء من كلِّ صوبٍ وحدب ليُساهموا فيها، ولقد عاشت الجماعات التي كانت تتحدث السريانية في بغداد قبل وبعد بناء المدينة الجديدة، واختلطوا بالمُجتمع الإسلامي الجديد الذي انتقل بأكمله للعيش بينهم ممثلاً لعاصمة الدولة، كما كان لهم فضل كبير في تنمية هذا المُجتمع وازدهارهِ حينما نزحوا إليه من كافَّة المناطق المجاورة، فكان علينا في هذا البحث رصد مساهماتهم وردود أفعالهم ورؤيتهم لهذا المُجتمع الجديد، ولهذهِ المدينة (بغداد)، التي جعلها المُسلمون لؤلؤة العالم حينذاك.

منهج البحث:

اتبعت الدراسة منهجًا متكاملًا يحاول الإفادة من بعض أدوات مناهج مختلفة، من بينها المنهج الوصفي الذي يعرض الحوادث ومظاهرها، والمنهج التاريخي الذي يتتبع التطور والتغير، والمنهج النفسي الذي يحاول فهم الدوافع المحركة لبعض التصرفات والسياسات، والمنهج التحليلي الذي يفيد في دراسة الظواهر التاريخية بشكلٍ متعمِّق، إلى غير ذلك من المناهج.

مصادر البحث:

اعتمد البحث على الكتابات التاريخية السريانية، وهي تواريخ معتبرة، موثوق بها إلى حدٍّ بعيد، ومعاصرة للأحداث، وفي الحقيقة إنَّ هذهِ الكتابات تنقسم إلى كتابات الكنيسة الغربية السريانية، ومن أهم مصادرها هو التاريخ الزوقنيني الذي يُستهل ببداية الخليقة وينتهي بموت الخليفة أبي جعفر المنصور، ويزخر هذا التاريخ بمعلوماتٍ سياسية واجتماعية واقتصادية هامَّة، ويوضح شكوى الجماعات السريانية من ضغط السلطة العباسية والحكم المركزي للدولة، ثمَّ تاريخ البطريرك ديونسيوس التلمحري (ق٩م)، الذي كان معاصراً للخليفة المأمون، وقد

(*) المجلس الأعلى للجامعات المصرية / مصر.

drhanan20112011@gmail.com

حواه كاملاً تاريخ ميخائيل السرياني الذي كتبه خلال القرن الثاني عشر الميلادي. وبعض مصادر الكنيسة الغربية الأخرى، مثل: تاريخ الرهاوي المجهول، وتاريخ الزمان لابن العبري، أمَّا المصادر التاريخية التي كتبها رجال الكنيسة الشرقية، مثل تاريخ الرؤساء لتوما المرجي (ق٩م)، وتاريخ إيليا برشينايا (ق١٠م)، فقد تخصصوا كثيراً في أخبار الأديرة ورجال الدين، ولم نجد أفضل من المصادر العربية لذكر أخبار النساطرة الشرقيين من العلماء ورجال الدولة؛ وذلك لقربهم من العرب المُسلمين واختلاطهم بهم، مثل كتب الجاحظ، والمسعودي، وابن أبي أصيبعة، والطَّبري، وغيرهم.

مدينة بغداد والجماعات السريانية(١)

صارت الخلافة إلى أبو جعفر المنصور (١٥٨-١٣٦هـ/ ٧٥٤-٧٧٥م)، ولم يكن للدولة العباسية مقراً لعاصمة دائمة، حيث تنقل سلفه الخليفة أبي العباس السفَّاح (١٣٦-١٣٢هـ/ ٧٥٤-٧٥٠م) في ثلاث مناطق مختلفة(٢)؛ لذا قرر الخليفة المنصور بناء مدينة بين الكوفة والحيرة دعاها الهاشمية وأقام بها فترة، إلَّا أنه قرر تركها والبحث عن موضع آخر، يدعم فيه مُلكه ويشعر فيه بالأمان؛ وذلك لافتقار الهاشمية إلى التحصين، وأنه لم يكن يأمن أهل الكوفة على نفسهِ، وهذا ما أثبتته فتنة الراوندية حيث اضطربت الأمور بطريقةٍ متواترة زادت من عزم المنصور على بناء مدينة جديدة لتكون مقراً دائماً للدولة(٣). لذا تذكر المصادر مدى تحريه الدقة في اختيار المكان الذي بنى فيه المدينة من حيث مناخها وموقعها وحصانتها.

والحقيقة أنَّ كثير من المصادر العربية أكَّدت على وجود قرية صغيرة بأرض السَّواد، كانت النواة التي بنى عليها المنصور مدينته، حيث ورد في الخطيب البغدادي ذكر خبر غارة المُسلمين على سوق بغداد، عام ١٣هـ(٤)، ويقول «لي سترنج» أنَّ هذهِ القرية كانت موجودةً منذ الدور البابلي، واستمر وجودها خلال الدور الفارسي على هيئة سوق عظيمة يجتمع فيها التجار(٥).

وما سنوضحه في هذا المبحث هو العلاقة بين الجماعات السريانية التي عاشت في أرض السواد، والتي كانت تُعرف عند العرب بالنبط(٦). والنبط في نظر المُسلمين كل مَن يتكلَّم الآرامية بغض النظر عن دينهِ أو انتمائهِ العِرقي. حيث كان العرب عند كلامهم عن النِبط يعنون بهم الآراميين بصفةٍ عامة من الكلدانيين والآشوريين والبابليين والصابئة، مما يؤخذ منه إطلاق لفظة الأنباط والنِبط على كُل متكلمي السريانية(٧). وكان هناك تقسيم جغرافي للأنباط عند العرب أيضاً، فعندهم نبط العراق ونبط الشام الذين يمثلون الآراميين الشرقيين والآراميين الغربيين، الذين أصبحوا فيما بعد السريان الشرقيين والسريان الغربيين(٨).

والواقع إنَّ الأراضي التي كان يقطن بها السريان لم تكن قاحلة قبل دخول العرب، مثلما لم تكن جرداءَ قبل دخول الفرس، حيث كانت تلك الأراضي تموج بالجنسيات والقوميات المختلفة، وعلى رأسهم العنصر النبطي. وفي الفترة التي سبقت الفتح العربي كانت هناك حدودٌ فاصلة بين السريان الغربيين وحكَّامهم الروم، فلم تتأثر الأقاليم الداخلية لسوريا بالروم بشكلٍ كبير، بينما لم نجد ذلك على المُستوى الشرقي حيث

اختلط السريان الشرقيون والفرس، سواءٌ بانتقال العاصمة الفارسية إلى بابل أو بنقل الأكاسرة لهم داخل ربوع الدولة الفارسية، حتَّى بَدوا وكأنهم أمة واحدة، ولمَّا دخل الإسلام أصبح الفرس- برعاياهم من النبط السريان- موالي أو عجماً.

ولا نستطيع هنا وصف هذهِ الفئة بكونها أقلية في ذلك الوقت، فلقد قُدِّر عددهم في سواد العراق فقط بخمسمائة وخمسين ألف أثناء الفتوح الإسلامية، وورد أنه عندما أرادوا تقسيم أهل السواد بين المُسلمين أمروا بهم أن يُحصوا فوجدوا الرجل يصيبه ثلاثة من الفلَّاحين[٩]، أي أنَّ العرب كانوا ربع عدد السكَّان في ذلك الوقت. وتلك المنطقة التي شيَّد فيها الخليفة المنصور مدينته المدورة.

وما يؤيد علاقة بغداد بالآراميين والثقافة الآرامية أنَّ الخليفة المنصور لما قرر بناء المدينة في ذلك الموقع لم يجد أكثر من أهل الرأي من سكَّان تلك المنطقة كي يأخذ بمشورتهم[١٠]، ويؤكد المؤرخون وجود دير عامر للنساطرة وهم السريان الشرقيون بالقرب من موضع بغداد القديم، وأنَّ المنصور قابل راهباً فأخبره الراهب أنَّ كتبهم تذكر أنَّ مَن يبني تلك المدينة يُسمَّى نقلاص، فقال كانت أمي والله تلقبني في صغري نقلاصًا[١١].

وفي روايةٍ أخرى للطَّبري: إنَّ المنصور قال للراهب الذي في الدير، يا راهب أُريد أن أبنى ههنا مدينة، فقال: لا يكون، إنما يبنى ههنا ملك يُقال له أبو الدوانيق، فضحك المنصور في نفسهِ، وقال: أنا أبو الدوانيق. وأمر فخُطَّت المدينة[١٢].

ورغم التأويلات التي وردت في أصل اسم بغداد، إلَّا أنَّ ما يؤيد علاقة بغداد بالثقافة الآرامية، أنَّ هذا الاسم في رأي المسعودي آرامي الأصل، ويتكون من كلمتين: (ب) بمعنى بيت، وهي التي تُستخدم دائماً في تسمية المدن السريانية[١٣]، و (كداد) بمعنى البقر أو الضأن أو الحظيرة، وهو ما يؤيد سكناها من قبل الآراميين، وأنَّ ما يتسق مع ذلك ويؤيده أكثر هو قول الطَّبري : «وكان في قرن الصراة مما يلي الخلد من الجانب الشرقي أيضاً قرية ودير كبير كانت تُسمَّى سوق البقر». ويُرجعنا ذلك القول للمعلومة التي ذكرت اقتحام المُسلمين لسوق بغداد عام ١٣هـ، فربما كان ذلك هو السوق الذي تُباع فيه الأغنام الذي تُشير إليه التسمية.

والشيء الملحوظ بالنسبة لنا أنَّ الثقافة الآرامية فرضت نفسها من خلال تغلُّب اسم بغداد على الاسم العربي الذي أطلقه عليها بانيها وما عُرفت بهِ، فقد أسماها المنصور "دار السلام"، وأطلق عليها "المدينة المدورة"، و "مدينة أبي جعفر المنصور"، والزوراء، ودار الخلافة، وبغدان[١٤]، إلَّا أنها أبت في آخر الأمر إلَّا أن تكون بغداد.

وعلى كل حال، فقد استمر بناء مدينة بغداد حوالي أربع سنوات، من ١٤٥هـ، وانتهى في ١٤٩هـ، وجلب الخليفة المنصور لتأسيسها البنَّائين المهرة والمسَّاحين والعارفين بتقسيم الأراضي[١٥]، وأنفق على بنائها ما يبلغ حوالي أربعة ملايين وثمانمائة وثلاث وثلاثون ألف درهم[١٦].

وقد وجدنا أنه من المفيدة جداً، لكي نتمكن من إلقاء نظرة شاملة على كافَّة الجوانب، أن نتعرف أولاً على واقع السريان في العقلية العربية، أو كيف كان العرب المُسلمون يعرفونهم. حيث اختلف المُسلمون في نظرتهم للسريان عمومًا بين ثلاث فئات: (العامة، رجال الدين، العلماء والإداريون)؛

وذلك لكي نستطيع أن نُحدد رؤية وحكم كل فئة من هذهِ الفئات على أوضاع مدينة بغداد، سواءٌ خلال عصر البناء والتأسيس أو عصر القوة والانطلاق، كما سيأتي ذكره.

(١) فئة العامة:

فئة العامة من السريان هم مَن تحدثنا عليهم آنفًا في الحديث عن نشأة مدينة بغداد، وعلمنا أنهم كانوا يمثلون ثلاثة أرباع عدد السكَّان في منطقة السواد، وكان أكثر مَن يمثلهم فئة العمال الزارعيين الذين أَطلق عليهم العرب "الأكرة"، وفئة الصُناع من الأساكفة والخياطين والصباغين وصغار التجار والباعة الجائلين والمقيمين وأصحاب المِهن الحرة من الملَّاحين والصيادين، وغيرها من الحِرف، كما يندرج تحت هذهِ الطبقة الكثير من الفقراء المعدمين الذين لم يجدوا ما يتكففون بهِ عن السؤال[١٧].

(٢) فئة رجال الدين:

لقد عرف المُسلمون هذهِ الفئة من السريان على المُستوى الديني كمسيحيين غير عرب بكافة طوائفهم الشرقية والغربية، وكانوا يتفاعلون معهم من خلال قادتهم الدينيين، و سائر رتبهم الكنسية من أساقفة وقساوسة ورهبان، وذلك من خلال التعاملات اليومية والاحتكاكات الحياتية التي دوِّنت في المصادر التاريخية، وكانت تلك الفِرق تستعمل اللسان السرياني في طقوسها البيعية ولهجتها القومية، حتَّى أتى التعريب على هذهِ الكنائس لاحقاً.

(٣) فئة العلماء والإداريين:

إنَّ فئة العلماء والإداريين هم الذين استفادوا من كافَّة النواحي المعنوية والمادية، وامتلأت مصادر التاريخ العربي بأخبارهم وصور تعاملاتهم مع المُسلمين، حيث عاشوا بين أطراف البلاط الملكي. وأصبحوا أثرياء، وكانت بينهم وبين الخلفاء علاقاتٍ وثيقة. وقد شَمِلت هذهِ الفئة علماء السريان الذين وفدوا من مدرسة جنديسابور[١٨]، وكانوا مسيحيين نساطرة وعلمانيين، أمثال عائلة بختيشوع الذين خدموا خلفاء الدولة العباسية، وبعض العلماء من اليهود، مثل ماسرجويه، والصابئة أمثال ثابت بن قرة.وقد كانت مدرستا جنديسابور وحرَّان أكثر تأثيراً في بني العباس لقُربهما من العراق واختصاصهما بالدراسات الموضوعية الواقعية التي تتوافق مع حاجة المُجتمع العباسي، ومن ثمَّ أصبحت مدرسة السريان الشرقيين الجديدة التي نشأت في بغداد أكثر تأثيراً في الدوائر العربية بفضل حركة الترجمة التي قاموا بها.

فقد كان للعلماء، وعلى الأخص مَن تقرَّب إلى البلاط من الأطباء والصيادلة، هيبة عظيمة في نفوس العرب، حتَّى أنَّ أحد العرب لم يجرؤ على التندر بالأصل النبطي لهؤلاء العلماء، بخلاف الأدباء أو الشعراء وسائر الشعب السرياني الذين تعرضوا لذلك، كما لم يكن هؤلاء العلماء بحاجةٍ إلى أن ينتسبوا لقبائل عربية، وظلوا على ألقابهم فترة طويلة إلى أن تكنوا فيما بعد بكُني عربية، ومنهم أُسرة الطبيب «جورجس بن بختيشوع»، وأُسرة «حُنين بن اسحق»، وأُسرة «ماسويه».

أمَّا بالنسبة لتعاون السريان مع العرب في المجال الإداري، فقد استولى السريان الغربيون على أهم الوظائف إبَّان عصر الدولة الإسلامية إلى أن حاول الخليفة عبد الملك أن يستبدل بهم العرب،

ولكن باءت محاولته بالفشل، وقد كانت السريانية من ضمن الكتابات الرسمية في دواوين الدولة الأموية قبل التعريب.

ويبدو أنَّ عبد الملك عانى من تثاقل "سرجون بن منصور"، واختلف مع كاتبٍ له يُقال له "شمعل"، فحول الحساب إلى العربية(١٩).

ولما انتقلت الخلافة الإسلامية من الأمويين إلى العباسيين، واستبدلت دمشق ببغداد، كان لأهل الذمة الحق في تولي الوظائف العامة كما جاء في الكتاب والسُّنَّة، إلَّا أنَّ القليل من العلماء أجازوا للنصارى تولي المناصب حتَّى درجة وزير(٢٠)، وكان من الأمور الطبيعية أن نرى كثيراً من كبار الموظفين السريان الذين وصلوا إلى درجاتٍ عالية جداً من الرقي شَمِلت تولي الخراج والكتابة في الدواوين المختلفة، وخاصةً في الجزيرة والسواد، حتَّى ضربوا المثل في الكفاءة والالتزام في طرق جباية الضرائب، فقيل: «نبطي في جبوتهِ أو جبايته(٢١)»، أي متمكن من وظيفة الجباية.

تأثير مدينة بغداد على واقع الجماعات السريانية

عصر البناء والتأسيس

الحقيقة إنَّ بناء بغداد بتحصيناتها كان عبارة عن جزء من سلسلة أعمال ومشروعات إنشائية شغلت عقل الخليفة المنصور بتدبيره لها، ودفع ثمنها رعايا دولته كما سنرى. حيث سبقتها إنشاءات وتلتها إنشاءات أخرى(٢٢)، ولقد ذكرت هذهِ الأعمال في الكتابات التاريخية للسريان(٢٣)، ولكن بطريقةٍ سطحية جداً. يقول ديونيسيوس التلمحري: «وفي سنة ١٠٧٣ شيَّد أبو جعفر على دجلة مدينة بالقرب من قطسفون، سماها بغداد، واتخذها مقراً له". ولكن يُفهم من ثنايا سطور هذهِ التواريخ نتائج مثل هذهِ الأعمال الإنشائية وانعكاسها على أمورهم الحياتية، فيبدو جليًّا من خلالها مدى معاناة الطبقات الفقيرة والمزارعين جرَّاء سياسة المنصور المالية، حيث تسبَّبت كثرة مشروعاته ومن ضمنها بناء العاصمة الجديدة بكافة مرافقها وبُنيتها التحتية في استمرار حاجتهِ إلى الأموال لدعمها واستكمالها.

ولقد امتلأت المصادر السريانية بذم أخلاق المنصور واستعراض مظاهر جشعهِ وطمعهِ وحبهِ لجمع المال على حساب الفقراء والفلَّاحين الذين كانوا يضجون ويهربون من كثرة الضرائب ووطأتها عليهم(٢٤)، ففي روايةٍ أنَّ «العباس» (أخو الخليفة أبي جعفر المنصور) طلب من السُكَّان إخلاء القرى والاختفاء والهرب عن أنظار أخيه عند زيارته للمنطقة، مخافة أن يزيد عليهم الخراج، إلَّا أنهم لم يتقيَّدوا بالنصيحة وأبَوا أن يَبرحوا أماكنهم، فجاء ذلك بالوبال عليهم(٢٥).

كما تسبَّبت هذهِ السياسة في جذب كثيرٍ من الفاسدين من طبقة رجال الدين، الذين شعروا أنهم يستطيعون التحكم في الخليفة من خلال استغلال صفة الطمع التي يتصف بها الخليفة. حيث تمحورت علاقته برجال الكنيسة السريانية الغربية حول المصالح المادية، حيث أوهمه إسحاق أسقف حرَّان بإمكانية تحويل الرصاص إلى ذهب، ولكن عندما اكتشف استحالة هذا العمل تخلص منه بالقتل في الحال(٢٦)، وقد ورد في تاريخ الزوقنيني ما نصه: «رفع الأمير (يقصد الخليفة

المنصور) صديقه عالياً ثمَّ لم يلبث أن شنقه مثل يهوذا... ولم ندر ماذا حدث لجثتهِ، ولم يكن حتَّى جدير بأن يقوم أحد بإيداع جثته مثواها الأخير... تلك هي عادة الشيطان في مكافأة الذين يقتفون أثره في هذا العالم».

وعندما بدأ رعايا الكنيسة الغربية الشعور بالخوف بسبب الأوضاع السابقة، تحرك الرهبان بسرعة لاختيار بطريرك جديد، خوفًا من أن يتعرضوا للخطر من قبل السلطات العباسية. فتم اختيار «مار جاورجي» من «بعلتان»، وبالتحديد دير قنسرين عام ٧٥٨ ميلادية. وبمجرد تثبيت مار جاورجي في المنصب، قام داود أسقف دارا بالانقلاب عليه. واللافت أنَّ والدة داود كانت تعمل كقابلة في قصر الخلافة ببغداد[٢٧].

ولم يتمكن مار جاورجي من الهرب من قبضة المنصور، الذي سأله عن معرفتهِ بصناعة الكيمياء. وبمجرد علمه بعدم معرفة «مار جاورجي» بالكيمياء، ونظرًا لاهتماماتهِ المادية في المقام الأول. تمَّ إلقاء «مار جاورجي» في السجن، فلاقى هناك صنوفًا من العذاب كنتيجة لعدم قدرتهِ على تقديم أي فائدة عملية تُرضي طموحات الخليفة[٢٨].

تكن ظروف العلاقة بين السلطة الحاكمة بالكنيسة السريانية الشرقية أفضل حالاً من الكنيسة السريانية الغربية، حيث تمتع يعقوب (٧٥٤-٧٧٣م) الذي مكث في سدة البطركة حوالي تسع عشرة سنة[٢٩]، باعتدال سياسة السفَّاح، ولكن أثناء خلافة المنصور، ولأسبابٍ تتعلَّق بقضايا الفساد المالي، واتت الفرصة الطبيب السرياني عيسى بن شهلاثا أن يكون من ذوي الرأي والمشورة لدى الخليفة المنصور، الذي ضاعف الضرائب على المسيحيين[٣٠]، فشرع شهلاثا ينهب أموال الشعب والكنيسة، وكان له دور في الزج برئيس الكنيسة النسطورية يعقوب في السجن، وبذلك اجتمع الجاثليق النسطوري يعقوب الثاني (٧٥٤-٧٧٣م) والبطريرك اليعقوبي جرجس (٧٥٨-٧٩٠م) وبطريرك أنطاكية الملكي ثوادريطس (؟) في السِّجن، حيث لبثوا فيه تسع سنوات إلى أن خُلي سبيلهم بواسطة كبريانس، أسقف نصيبين النسطوري[٣١].

لا شكَّ أنَّ سياسة الخليفة المالية القاسية - التي كان يفرضها من أجل التوسعات المدنية التي تخدم أمنه ممثلةً في الاستحكامات الدفاعية والمدن الحصينة بما فيها بغداد العاصمة - أدت إلى تجويع الشعب خاصةً الطبقات الفقيرة، يقول ديونسيوس التلمحري عن السنة نفسها التي بنى فيها المنصور مدينة الرافقة (١٠٨٣م)، الموافقة سنة (١٥٥هـ)، ما يلي: «غادر أبو جعفر بابل إلى بين النهرين وسوريا وفلسطين، وعيَّن للجزيرة موسى بن مصعب اليهودي، ولقنسرين موسى بن سليمان، وكلاهما خبيثان وفظَّان، وجمع كل الذهب والفضة وضمَّها إلى خزائنهِ.حتَّى لم يعد يُرى دينار أو فلس إلَّا لدى التجار، ومن شدَّة الضيق لجأ الناس إلى نبش قبور الموتى وغربلة ترابهم وتصفيته بالماء علَّهم يعثرون على قطع من فضة أو ذهب أو أية مادة ثمينة أخرى لكي يدفعوا الضرائب»[٣٢].

ويبدو أنَّ الخليفة المهدي (١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٧٥-٧٨٥م) كان محظوظاً بالأموال التي جمعها له أبوه في مدينة بغداد خلال فترة حكمهِ، حيث جاء في وصيتهِ لابنه المهدي، ما نصه: «وانظر هذهِ المدينة فإياك أن تستبدل بها، فإنها بيتك وعزك، قد جمعت

لك فيها من الأموال ما إن كسر عليك الخراج عشر سنين كان عندك كفاية لأرزاق الجُند والنفقات وعطاء الذرية ومصلحة الثغور، فاحتفظ بها فإنك لا تزال عزيزاً ما دام بيت مالك عامراً»(٣٣)، ويتضح من ذلك أنه لم يقصد بجمع كل هذهِ الأموال تدعيم حكمه فقط، ولكن تقوية ركيزة السلالة العباسية وتقوية جيشه. وبهذا استلم المهدي الحكم وقد توطَّدت أركان الدولة واستتبت الأمور حيث المدن الجديدة والأسوار والتحصينات والطرق الممهدة وبيت المال العامر.

ولم يأل الخليفة المنصور جهداً في جمع الأموال في بغداد لتدعيم ركيزة السلالة العباسية فقط، ولكنه لم يتوانى عن جمع كل ما يضمن علو شأنها وتقدمها العلمي والثقافي؛ لذا فقد جدَّ في طلب العلماء من كل صوبٍ وحدب على اختلاف مِللهم ونحلهم، وقد كانت البداية مع علماء السريان عندما استدعى الخليفة «أبو جعفر» الطبيب جورجس بن جبرائيل سنة (١٤٨هـ) من مدينة جنديسابور لمرضٍ عرض له.

وقد وردتْ رواية في طبقات الأطباء عن طريقة استدعائهِ من «جنديسابور»إلى عاصمة الخلافة بغداد شبه مكروه أو مجبر، حيث كتب ما نصه: «فأنفذ المنصور في الوقت مَن يُحضره، فلما وصل الرسول إلى عامل البلد، أحضر جورجس وخاطبه بالخروج معه، فقال له: على ههنا أسباب ولابدَّ أن تصبر عليَّ أياماً حتَّى أخرج معك، فقال له: إن أنت خرجت معي غد طوعاً، وإلَّا أخرجتك كرهاً(٣٤).

وعندما امتنع عليه جورجس أمر باعتقالهِ، ولما اعتُقل اجتمع رؤساء المدينة مع المطران فأشاروا على جورجس بالخروج إلى بغداد، وقد لاقى جورجس صنوفاً من التكريم والإغداق المادي، حتَّى أنه لما تكتم على عادتهِ في شرب الخمر أرسل المنصور من يأتي له بأجودها، كما أنه لم يقبل الجواري التي أرسلها له القصر ليؤنسنه، رافضاً أن يتخلَّى عن تعاليم دينه في الالتزام بزوجةٍ واحدة، وبعد عدَّة سنوات مرض جورجس وأراد أن يرجع لمسقط رأسهِ جنديسابور، فبكى للخليفة حتَّى يُعيده لوطنهِ، فاستجاب له الخليفة.

ولقد كانت حكمة جورجيس ثمَّ الفترة التي مكث فيها في بغداد كفيلين بأن تجعله يُدرك ما ستؤول إليه أحوال المدينة في المستقبل القريب، ورغم أنه رفض إلحاح البلاط الملكي في طلب إحضار ولده بختيشوع بادئ الأمر، إلَّا أنه أدرك أيضاً أنَّ رفضه للأحوال الاجتماعية التي تختلف عمَّا تعود عليه في المدائن حدثٌ يخصه وحده، وأنَّ العاصمة تفتح أبوابها للدماء الجديدة، وكان الأب يعلم مدى طموح ولده وتطلعه إلى آفاق الشهرة والمجد التي ستوفرها له خدمة الخلفاء في بغداد(٣٥)، وهذا ما حدث بالفعل كما سنرى.

عصر القوة والانطلاق

انتهت فترة الإعداد والبناء والتشييد بعد وفاة الخليفة المنصور، الذي نجح في جعل بغداد حلماً لكل الطموحين من كافة الفئات، ولقد وقفت الجماعات السريانية مثلها مثل كافَّة الأجناس والأعراق الرانية إلى مستقبلٍ رائع، وقد وجدوا في العباسيين ضالتهم عندما رأوهم يقدمون الموالي ويقدرونهم، فسعوا إلى أبواب بغداد ينشدون الغنى والرفاهية والمجد والشُهرة والعِلم والتعلم. وشَمِلت هذهِ النظرة إلى بغداد فئة العامة من النبط،

خاصةً من السريان الشرقيون لقربهم من مقر الخلافة[٣٦].

ولقد أدى ذلك الحال إلى حركة امتزاج قوية بين العناصر المختلفة التي كوَّنت المُجتمع العباسي خلال الفترة اللاحقة لبناء بغداد واستقرار أحوالها، حيث ضمَّت هذهِ المدينة تلك العناصر ودمجتهم سوياً في كافة مجالات الحياة، كما امتزجت طبقات الموسرين من كبار المزارعين الذين يملكون الأراضي الواسعة والقصور، ومن كبار التجار والعلماء والأطباء والمسؤولين الإداريين من السريانيين، جنباً إلى جنب مع الأمراء والولاة والحكَّام والقادة المُسلمين، وكانت الندوات والمجالس التي عُقدت في مجالات العِلم والأدب من أبرز مظاهر الامتزاج في هذهِ الفترة، حيث كانت هذهِ الندوات تُعقد في الكنائس والأديرة، وفي قصور الخلفاء والأمراء، وفي دور الوجهاء، وكان السريانيون يحرصون على الحضور المستمر في هذهِ الندوات.

كما نجد في التراث الإسلامي العديد من الأسماء السريانية التي كانت تشارك في تلك المجالس، مثل: «بختيشوع»، و «ماسويه»، و «حُنين بن إسحق»، و «سلمويه»، وغيرهم. كانوا يتشبهون بالوجهاء في عقد مجالس العِلم في بيوتهم، حيث كان مجلس ماسويه يجمع بين جميع فئات أهل الأدب، إضافةً إلى الأطباء والفلاسفة والمتحدثين.

لقد ارتبط بعض أفراد السريان مع العرب برابط الصداقة، مثل صداقة «إسحق بن حُنين بن إسحق» و «عبيد الله بن القاسم»، وكان «مُحمَّد بن أبي أحمد اليزيدي» صديقاً لـ«علي بن الهيثم جونقا» كاتب المأمون النبطي، – ومن مظاهر انتشار سيادة العدل بين فئات هذا المُجتمع المختلط هو انتصار القاضي «أحمد بن أبي داود» لـ«بختيشوع بن جبرائيل»، حين تنازع مع الأمير العباسي «إبراهيم بن المهدى» على ضيعةٍ له[٣٧].

وبالإضافة إلى مجالس العِلم والأدب، جمعت بين السريان والعرب زمالة في العمل على المستوى العلمي والفني، فكان لتبنى أبناء «موسى بن شاكر» للنماذج السريانية من العلماء، أمثال: حُنين بن إسحق، وثابت بن قرة، أثر في الوسط العلمي، كما نرى الجاحظ يخالط السريان في غير مكان، فيجتمع مع يوحنا ماسويه ويُشاطره الطعام على مائدة الوزير إسماعيل بن بلبل[٣٨].

وعلى الصعيد الديني نجد أنَّ حدة الصراع التي بدت واضحة على عهد المنصور بسبب الأمور المادية ورغبته في جمع المال قد تبدَّدت شيئاً فشيئاً، ونجد أنَّ رؤساء السريان النساطرة اختاروا اللجوء طوعاً إلى بغداد ليكسبوا ود الخلفاء يلتمسون منهم أن يكونوا قضاة في سياسة شئونهم، ولاسيَّما أثناء انتخاب الجثالقة، فكان إذا حدث نزاع بينهم لجئوا إلى الخلفاء أو القادة والوجهاء ليساعدوهم.

ولقد لمسنا بداية أفول نجم «المدائن» مقر الجثلقة القديم والتحول إلى بغداد في زمن المهدي (١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٧٥-٧٨٥م)، حين دبَّ الصراع بين حنانيشوع (٧٧٣-٧٧٥-٧٨٠م) أسقف «لاشوم»، الذي سانده أهل الحيرة والجرامقة ضدَّ منافسه على الجثلقة «جيورجيوس الراهب» من دير «باحالا»، ولقد سار المتنافسان من المدائن دار البطركة آنذاك إلى بغداد دار الخلافة، ليُكملا الصراع هناك بحضور الخليفة[٣٩]، وكذلك فعل اليعاقبة وفي صورةٍ من صور الاندماج المذكور

كان أن وقف آلاف من المُسلمين بجانب السريان الغربيين المطالبين بتولية «ديونسيوس التلمحري» وخلع «ابيرام»، وذلك أثناء تحكيم عبد الله بن طاهر بين الخصمين خلال فترة حكم الخليفة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/ ٨١٣-٨٣٣م)[٤٠].

وقد أضحى الاتصال بالخلفاء والتنعم بإغداقهم المادي مثار فخر لدى رؤساء الكنائس السريانية، فهذا طيماثاوس (٧٨٠-٨٢٣م) الذي تدرج إلى أن أصبح جاثليقاً للنساطرة[٤١]، قد كتب لصديقهِ سرجيس متروبوليت (مطران) «عيلام» في إحدى رسائلهِ، يحكي له فيها عن حُسن استقبال القصر له، ويوضح أنه زار الخليفة ست مرات بعد حرب الرشيد مع الروم واتخاذ تدابير ضد النصارى، ويذكر طيموثاوس للصديق نفسه أنه دفع له من قبل قصر الخلافة (٨٤٠٠٠) زوزي أو زوزا[٤٢].

ولقد نعمت الكنائس السريانية بفترةٍ من الهدوء النسبي بعد قرونٍ من الخلاف، بدأت بتلاقي رؤساء الكنائس الثلاث في سجن بغداد في عصر المنصور، وإذ بالمحادثات تتحول إلى مفاوضات وسلام، فحدثت اتصالات بين طيماثاوس وبين رؤساء دير متى معقل اليعاقبة الذي ذكره في مؤلَّفاته كمركزٍ هام للعِلم[٤٣]، كما كانت هناك مراسلات بين كلٍ من النساطرة والموارنة بجبل لبنان، وذلك حينما احتدم الخلاف بينهم وبين المكسمينيين، فلم يجدوا أفضل من الجاثليق طيماثاوس في بغداد لصلتهِ المباشرة بالخلفاء، فكتبوا إليه رسالة مُسهبة في أمرهم وأمر حمايتهم، فردَّ عليهم الجاثليق برسالةٍ عنوانها: «إلى رهبان مار مارون»[٤٤].

وليس ذلك فحسب، فقد انطلقت من بغداد وبالتحديد دير كليليشوع وهو مقر الجاثليق النسطوري حركة تبشير قوية جداً شملت قسماً كبيراً من شرق آسيا حتَّى دخل إلى الصين، وقد جاءت هذهِ الحركة كرد فعل تلقائي للتزايد العددي لصالح المُسلمين مما يدل على مدى الحرية التي لم تعطِ من حاكم لمحكوم في أيِّ دولةٍ كانت[٤٥]. ولقد كان دير كليليشوع مضطلعاً بحركة علمية دينية واسعة خلال جثلقة سبريشوع (٨٣١-٨٣٥م)، قام بها الرهبان للمحافظة على العلوم الكنسية ولتقلُّد المناصب الدينية والاختصاص في اللاهوت، وكان الدير عبارة عن كنيسة متواضعة، فلما علا شأن بغداد وكثر تردد الجثالقة عليها من مقرهم في المدائن، اختار طيموثاوس هذا المكان للإقامة، واختار قسماً منه لسكناه وحاشيته حتَّى أصبح الدير وكأنه معهد كهنوتي توافق مع الحركة العلمية عصر المأمون، ومقر دائم للجثلقة[٤٦].

وفي بغداد أيضاً ازدهرت المحاورات بفضل مناخ الحرية الذي سمح بهِ الخلفاء، فهناك محاورة لطيماثاوس مع الخليفة المهدي[٤٧]، تُعد بمثابة وثيقة تدل على مدى التسامح الذي تميز به الخلفاء، وعلى مساحة الحوار التي منحوها لغير المُسلمين، وهذهِ المحاورة تعزز فكرة الود التي صارت بين المهدي وطيماثاوس، واستمرت هذهِ العلاقات الودية مع الخليفة هارون الرشيد، إلى أن تحول الخليفة المأمون إلى الاهتمام برؤساء الكنيسة الغربية، أسوةً بالشرقية وكذلك فعل المعتصم، الذي رحَّب بزيارة الأمير الحبشي «جورجي» لبغداد، حيث لاقاه بطريرك اليعاقبة «ديونسيوس التلمحري»، أثناء زيارته الثالثة لبغداد.

فبعد أن أحتفل جورجي بالقداس في الرقة

نزل إلى بغداد فاحتفى بهِ الجيش في الشوارع وحلَّ في أحد القصور الملكية ومكث فيها عدة أشهر، وخلال تلك الفترة ناوله ديونسيوس القربان وناول حاشيته في لقاءٍ تناقلته المصادر السريانية والعربية المختلفة(٤٨). والملاحظ أنه رغم بناء المعتصم للسامرة حيث أحبها أكثر من بغداد لتوفر الهدوء والصيد فيها، إلَّا أنَّ الزيارات والوفود وكانت تستقر في بغداد أولاً. ثم تأخذ وجهتها لمقر الخليفة ولقد أعد له المعتصم استقبالاً عسكرياً بالأسلحة والزينة، وهيأ له مجلساً وأهداه بهدايا فضية وذهبية ثمينة(٤٩).

ومما سبق يتضح أنَّ بغداد أضحت في ذلك العصر بمثابة مركزاً لتطوير الحوار الديني، ليس بين الأديان المختلفة فقط بل لأصحاب الدين الواحد، وفي هذهِ الأجواء التحفيزية استطاعت الكنائس الشرقية أن تدين بالبقاء للتعايش السلمي داخل الدولة الإسلامية. ذلك بعد زوال أسباب التوترات التي شَهِدها رؤساء الكنائس الشرقية في عصر البناء والتأسيس، وتمتعهم بالحرية والتآلف في عصر القوة والانطلاق.

ولم تختلف هذهِ الأجواء المحفزة على الجانب الديني عنها في الجوانب العلمية، والملاحظ أيضاً زوال نظرتهم للمُجتمع الجديد التي كانت مليئةً بالرهبة والخوف والرفض، وكان جورجيس الطبيب مثالاً له أثناء عصر البناء والتأسيس إلى أن صاروا من شدة القرب بمثابة آباء للخلفاء، يقول ابن أبي أصيبعة: «كان جبرائيل (بن بختيشوع بن جورجيس) عند المأمون مثل أبيه»، وأيضاً علاقة المعتصم بسلموية الذي كان يدعوه «أبي»(٥٠).

والحقيقة إنَّ علماء السريان عاشوا منعَّمين مرفهين في أوقات الهدوء والاستقرار السياسي، وكانت بغداد بالنسبة لهم بمثابة الوطن المليء بالخيرات. حيث أغدق الخلفاء على علماء السريان أموالاً طائلة، فحصلت أسرة "بختيشوع"على أموالٍ وثروات لا قِبَل لنا بعدِّها، ولقد ضرب "بختيشوع"مثلاً في اتخاذ مظاهر الأُبهة والفخامة في اقتناء القصور والضياع مجاراةً للمظاهر التي سادت في ذلك العصر، وقد أفرد ابن أبي أصيبعة في ذلك صفحاتٍ من كتابه تُذهل مَن يقرؤها(٥١)، وكان تأثير السكنى ببغداد أن ظهرت بعض الحالات التي شذَّ فيها على شريعتهم في اتخاذ الجواري للتسري، كما فعل كل من «بختشيوع» و «يوحنا بن ماسويه»، الذي كان شمَّاساً.

وعلى الجانب الآخر، كانت هناك حياة علمية دائرة في مجال البحث والترجمة اضطلع بها بيت الحكمة التي اعتنى بها الخليفة المأمون وعمل على تنميتها، وعُدَّت من أعظم المعاهد الثقافية، وجَعل منها مؤسَّسة رسمية ومكتبة للترجمة والبحث، وأرسل وفوداً إلى بلاد الروم في طلب كتب العلوم القديمة، ولحُسن الحظ كان أغلبية السكَّان السريان الذين انتشروا بين المنطقة الواقعة بين الإمبراطورية الرومانية والفارسية يتكلمون لغتين أو أكثر، فكان من السهل على مثقفيهم النقل من لغةٍ لأخرى، بالإضافة إلى حبهم للمعرفة والثقافة، وكان من بين هؤلاء يوحنا بن ماسويه، وحُنين بن إسحق، وقسطا بن لوقا، والحجاج بن مطر، ويحي بن البطريق.

ولم يقتصر الأمر على اهتمام الخلفاء، بل إنَّ بعض الأُسر اشتهرت بحب الثقافة والعِلم، منها أسرة البرامكة، وأسرة مُحمَّد بن موسى الذين كانوا ذوي معرفة وثقافة عالية، وكان مُحمَّد وأحمد والحسن بنو شاكر المنجم ممن اهتموا بإخراج الكتب من بلد الروم، وأنفذوا حُنين بن إسحق وغيره إليها، فجاؤوهم بطرائف الكتب، وغرائب

المصنَّفات، ولقد جاءت محاولة السريان لتعلم اللغة العربية وإسلام بعضهم في صالح الترجمة، حيث ربطهم ذلك بالعالم الإسلامي وجعلهم لا يتوانون عن خدمته بما تجود به أذهانهم(٥٢).

وقد كان تفكير أحدهم الدخول بغداد مجالاً للتنافس والجذب والشد بين العلماء بعضهم بعضاً بدافع الغيرة، فكان أن تندر يوحنا ماسويه على حُنين بن إسحق منكراً عليه أن يجلس للتعلم في بغداد، ناصحاً إياه أن يعمل بالصيرفة وهي مهنة أهل الحيرة من النصارى مسقط رأس حُنين، وفي رأيه أنها أعود عليه من مهنة الطب التي أتى لبغداد ليتعلَّمها. ولقد ازدادت الخلافات والصراعات على نفس تلك الشاكلة بين علماء السريان تنافساً منهم للتقرب من مسالك الخلفاء وعليَّة القوم بل والتنافس للحفاظ على مكانتهم بنفس حالها، كما حدث تنافس حاد بين كلٍ من حُنين بن إسحق والطيفوري، واصطدمت عائلتا سلمويه بن بنان وبختيشوع(٥٣).

ولو استطعنا استيعاب ما كان يتحصل عليه المترجمون الذين كانوا يعملون ببيت الحكمة ببغداد وإلى جانب الحكّام والأمراء من أموالٍ طائلة(٥٤)، سنعلم لما كان التنافس بينهم حيث ساعدتهم تلك المدينة في إشباع شغفهم بالعِلم والاختلاط بمحبيه ومشجعيه من عليَّة القوم، وفي الوقت نفسه الذي كفلتهم ماديًا وأدبياً، وقد شملت الترجمة الكثير من المجالات مثل الفلسفة والطب والهندسة والموسيقى والفلك، وكانت هذهِ المترجمات إلى السريانية تتم لصالح بعض الأطباء أو للتلاميذ النصارى، أمَّا المترجمات العربية فقد خُصصت للخلفاء والوزراء وأعاظم المُسلمين ولبعض الأفراد من الأُسر العربية من محبي الثقافة والعلوم(٥٥).

ولقد تسبَّب هذا القرب الزائد أن يكون السريان شهداء على ما يحدث في بغداد من أهوال، فكان جبرائيل بن بختيشوع شاهداً على نكبة البرامكة، فيقول في روايتهِ للحادثة: ثم دخل إلينا أبو هاشم مسرور الكبير، ومعه خليفة هرثمة ابن أعين، ومعه جماعة كثيرة من الجند، فمدَّ يده خليفة هرثمة إلى يد جعفر، ثمَّ قال له: قم يا فاسق! قال جبرائيل ولم أُكلم ولم يؤمر في بأمر. وصرت إلى منزلي من ساعتي وأنا لا أعقل(٥٦). كما كان شاهداً على التغيرات النفسية التي حدثت لهارون بعد نكبتهِ للبرامكة وتغير أبناؤه عليه (الأمين والمأمون)، وشكه في ولائهم له(٥٧).

وأثناء الحرب الأخيرة التي فَصَلت بين الأخوين المتحاربين، انتُزعت بعض أعمدة الكنائس ليُعمل بها قذائف، إذ لم يكن ببغداد حجارة، كما نهبت العامة دار بختشيوع الطبيب وأملاكه(٥٨)، فاعتبرها جزاءً لولائهِ لأسياده الخلفاء، واضطر إسحق بن إبراهيم بن المهدي أن يُنزله منزله، وفي زمن المعتصم كان للـ»عباس بن المأمون» كاتب وطبيب نسطوريان كشفاً للخليفة مؤامرة «العباس» ونيته لقتلهِ، وعرَّفاه بالمشتركين معه فتسببا بذلك في موت «العباس» تحت تأثير التعذيب والجوع، وكان للعباس خطة مع أهل بغداد مفادها أن ينادوا في الطرقات والمساجد بالعباس خليفة فور سماعهم بمقتل المعتصم(٥٩)، ولو كانت خطته قد اكتملت ربما كان للتاريخ وجهٌ آخر.

ولم تكن معاصرة السريان لمثل هذهِ الأحداث القاتمة من تاريخ بغداد، وهي كثيرة، إلَّا ضريبة القرب الزائد من دهاليز الحكم والصراع حوله، وكانت هناك ضريبة أخرى دفعها السريان نتيجةً

لثرائهم الفاحش ومبارزتهم للخلفاء، حيث أثار غناهم حفيظة العامة والخاصة على السواء، فنكب الخليفة الواثق (٢٢٧-٢٣٢هـ/ ٨٤٢-٨٤٧م) «بخشيوع الثاني بن جبرائيل»، وقبض جميع أملاكه، ولما صلح حاله ثانيةً حقد الخليفة المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ/ ٨٤٧-٨٦١م) عليه لما رأى عليه من مظاهر العز والترف على إثر وليمة أقامها له، فاستكثر عليه ذلك. يقول ابن أبي أصيبعة عن بختيشوع الثاني: "حتَّى بلغ في الجلالة والرفعة، وعظم المنزلة، وحُسن الحال، وكثرة المال، وكمال المروءة، ومبارزة الخلافة في الزي واللباس، والطيب، والفرش، والصناعات، والتفسيح، والبذخ في النفقات، مبلغاً يفوق الوصف، فحسده المتوكل وقبض عليه(٦٠).

مدينة بغداد في ذهنية الجماعات السريانية

بعد ذلك الطرح السابق، يحق لنا التساؤل ماذا كانت بغداد بالنسبة للسريان؟ يبدو لنا جليًّا أنَّ رؤية الجماعات السريانية بكافة فئاتها لمشروعات الخليفة أبي جعفر المنصور الإنشائية اختلفت بين فترة البناء والتأسيس. وبين فترة القوة والانطلاق. والتي تمتع فيها الجميع بتبعات ونتائج الاستقرار الذي وفرته هذهِ المدينة لهم.

حيث نرى هنا أنَّ فترة إعداد تلك المشروعات الإنشائية بما فيها بناء المدينة الجديدة مثَّلت مصدر إزعاج لهم، حيث دفع فيها الفقراء المثلون في الاكرة والفلَّاحين الذين تحملوا الضرائب كرهاً، والعلماء مثل الطبيب جورجيس الذي نظر إلى المُجتمع الإسلامي الجديد في بغداد نظرة قلقٍ ورفضٍ وريبة، وأمثال بعض رجال الدين الأفاقين منهم والصالحين كما رأينا مع إسحق أسقف حران الذي قُتل ورؤساء الكنائس الشرقية والغربي "يعقوب" و "جرجيس"، الذين لبثوا في السجن بضع سنين.

ولقد انتهت فترة الغرس بمساوئها وصعوباتها وبالتضحيات التي قدمتها فئات السريان المختلفة، وبدأت مرحلة جديدة استمرت لأزمانٍ عديدة، تلقى فيها الجميع ثمار ما قام بهِ الخليفة المغضوب عليه «أبي جعفر المنصور»، وبدت بغداد كلؤلؤة منيرة وعروس جميلة بأيادي بيضاء تسبغ عطاياها ونعمها على المحبون المخلصون. فإذا أردنا هنا وصفها خلال الفترة الأخيرة على لسان السريان من خلال ما قدمناه في ذلك البحث نستطيع، أن نقول إنَّ بغداد هي:

المدينة الساحرة

والتي أتاحت لقاطنيها عصا سحرية يملكها ذوو المناصب العلمية والدرجات العالية، لتمنحهم مزيد من القوة والسيطرة والدعم والمشاركة في اتخاذ القرارات، بل للتحكم في مقدَّرات البشر، حيث كان التقرب لبلاط الحكم يجعلهم يتدخلون لدى الخلفاء للتوسط في تنصيب البطاركة والجثالقة والإداريون، بل إنَّ الأطباء منهم كانوا يتحكمون في حياة الحكام أنفسهم، وكان الخلفاء يعرفون أنَّ نفوسهم في أيدي أطبائهم السريان يتحكمون فيهم حيث شاءوا، فأجزلوا لهم العطاءات مقابل نيل ولائهم وإخلاصهم.

مدينة العِلم والحضارة والإبداع

استطاعت بغداد أن تُشبع شغف نُخبة علماء السريان من محبي الثقافة والحضارة والإبداع والطامحين إلى الاستنارة وتنمية المواهب والابتكار،

وذلك بتشجيعها الدائم لهم سواءٌ بتسهيل سُبُل العلم، وبناء مؤسَّسات حاضنة له وبالأموال الوفيرة والعطايا الغير محدودة. مما ساهم في إثراء الحضارة العربية بروائع ما تُرجم من ذخائر التراث الهلليني وخاصةً الطبي والفلسفي حيث قُدِّر لهذا التراث أن يؤثر بقوة على العالم الإسلامي، فكان بمثابة نواة لعصر انتشر فيه العلم والتقدم بين المُسلمين.

مدينة الثراء والرفاهية

أصبحت بغداد مجالاً للفرص الذهبية ووجهة للطامحين من كافة الطبقات، حيث قصدها الفقراء والمزارعين من طبقة العامة التماساً لتحسين مواردهم ودخولهم، ومن الطبقة الوسطى من العلماء، فحققوا بذلك طموحاتهم العلمية والمادية معاً، وحتَّى كبار رجال الدين، لذا أصبحت ميداناً للتنافس فيما بينهم لنيل خيراتها الوفيرة.

مدينة العدل والتعايش السلمي

رأينا من خلال البحث بعض مظاهر الاختلاط والتعايش السلمي بين الجماعة السريانية والمُسلمين، وكيف أنَّ العدل كان يسود بينهما حتَّى لو تم اللجوء للقضاء الإسلامي.

مدينة الحرية والتسامح الديني

من أبرز الدلائل على الحرية التي عاشها السريان خلال تلك الفترة، هي المحاورات التي كانت تدور بين الخلفاء ورجال الدين بكل سهولة وأريحية، أمَّا ما جاوز حدود العقل هو اتخاذ السريان مدينة بغداد كمركز لحركة تبشير مسيحية شملت قسماً عظيماً من الجانب الشرقي للعالم القديم حتَّى وصلت إلى الصين.

مدينة الامتزاج الثقافي

تواترت سرعة الدمج والامتزاج الثقافي والاجتماعي بين السريان والعرب المُسلمين في هذهِ المدينة، وأصبح تقليد الجماعات السريانية لسادتهم في الملبس والمأكل وكافة المظاهر الاجتماعية، بل في عدم الالتزام بتقاليدهم الدينية لزاماً تقتضيه ظروف العيش في بغداد، مما سهَّل تحولهم بسهولةٍ إلى الدين الإسلامي، ولم يقتصر الاندماج بين المُسلمون والجماعات السريانية فقط، إنما شمل الفِرَق المسيحية الشرقية والغربية والتي كانت متفرقة ومتنافسة في الفترة التي سبقت الإسلام، حيث هدأت الأمور بينهم ونعموا بأجواءٍ من التعاون من قبل دولة الخلافة، حتَّى أننا رأينا الدولة الإسلامية تحتفي بضيوفها إكراماً للكنيسة السريانية الغربية، مثلما فعلت مع الأمير الحبشي جورجي الذي ينتمي لتلك الكنيسة، بل ويُقام القدَّاس في عاصمة الدولة الإسلامية.

مدينة الصراعات والاحتدامات السياسية

عاشت الجماعات السريانية وسط معترك الأحداث وحموها إبان عصرٍ مليء بالوقائع، فكانوا شهوداً على ما كان يحدث من احتداماتٍ سياسية وأحياناً عسكرية، في فترات الصراع على السلطة والحكم، فاشتركوا في أحداثها ووردت أسماؤهم في رواياتها، بل وأحياناً نجدهم قد نالوا العقاب، والسبب في ذلك هو قربهم الزائد من الحكَّام وبلاط المُلك.

الخاتمة

من خلال هذا العرض السابق، سعينا أن نوضح مدى تمكن مدينة بغداد من استخدام العناصر الإثنية المختلفة في المنطقة لمصلحة نهضة الدولة الإسلامية، ومن ثم استيعاب ودمج هذهِ العناصر في خضم مجتمعها المائج بالأحداث والحركات السياسية والثقافية والاجتماعية، وحاولنا أن نتلمس من خلال بحثنا كيف كانت هذهِ العناصر ترى الأحداث التي صاحبت تأسيس المدينة وبداية انطلاقها إلى العالمية من زاويتها الخاصة، وماذا كانت تمثل لهم هذهِ المدينة الجديدة "بغداد" عاصمة الدولة الإسلامية. ونرجو أن نكون وفقنا في ذلك.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية

الإربلي: بدر الدين أبو مُحمَّد عبد الرحمن بن إبراهيم بن قنينو (٧١٧هـ/ ١٣١٧م).

– خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، مرخص من مجلس معارف الولاية.

برشينايا : إيليا ܐܠܝܐ ܒܪ ܫܝܢܝܐ (٩٧٥هـ/ ١٠٥٦م)

– تاريخ إيليا برشينايا؛ ܡܟܬܒܢܘܬ ܙܒܢܐ ܕܐܠܝܐ ܒܪ ܫܝܢܝܐ / ، ترجمة وتعليق: يوسف حبي، مجمَع اللغة السريانية، بغداد، ١٩٧٥.

البلاذري: الإمام أبي العباس أحمد بن يحيى بن جابر.

فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، مؤسَّسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٧م.

الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ/ ٨٦٩م)

– الحيوان، شرح وتحقيق: عبد السلام محمَّد هارون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الجلبي وأولاده، الطبعة الثانية، ١٩٦٦م.

– رسائل الجاحظ الكلامية، قدَّم لها وبوبها وشرحها: علي أبو ملحم، دار ومكتبة الهلال، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٧م.

الجهشياري : أبو عبد الله مُحمَّد بن عبدوس (ت٣٣١هـ/ ٩٤٣م).

– الوزراء والكتاب، حقَّقه ووضع فهارسه: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، قدَّم للطبعة: عطية أحمد القوصي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، شركة الأمل للطباعة والنشر، ٢٠٠٤م.

ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ).

– مناقب بغداد، عُني بتصحيحِه: مُحمَّد بهجة الأثري البغدادي، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٣٤٢هـ.

الخطيب البغدادي: الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت٤٦٣هـ).

– تاريخ بغداد، أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتَّى عام ٤٦٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن خلدون: عبد الرحمن بن مُحمَّد (٧٣٣-٨٠٨هـ/ ١٣٣٢-١٤٠٦م).

– كتاب العِبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومَن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الرابعة، منشورات مؤسَّسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت،١٩٧١م.

الزوقنيني: الراهب.

- تاريخ الزوقنيني المنحول لدونسيوس التلمحري، ترجمة: بطرس قاشا، تعليق: سهيل بطرس قاشا، منشورات المكتبة البوليسية، ٢٠٠٦م.

بن سليمان: ماري (ت٥٢٣هـ/ ١١٣٠م).

- فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل، طبع رومية، ١٨٩٩م.

الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين بن مُحمَّد الأموي القرشي (ت٣٥٦هـ/ ٩٦٧م).

- الأغاني، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م.

ابن أبي أصيبعة: موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي (٦٠٠/ ٦٦٨هـ).

- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق: نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٦م.

الطَّبري: أبو جعفر مُحمَّد بن جرير (٢٢٤-٣١٠هـ/ ٨٣٩-٩٢٣م).

- تاريخ الأمم والملوك، راجعه وصحَّحه وضبطه: نخبة من العلماء الأجلاء، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان. قوبلت هذهِ النسخة بنسخة مطبعة بريل، ليدن، ١٨٧٩م.

ابن عبد ربه: شهاب الدين أبو عمر أحمد بن مُحمَّد بن ربه القرطبي (ت٣٢٨هـ/ ٩٤٠م).

- العِقد الفريد، تحقيق: مفيد مُحمَّد قميحة، دار الكتب العلمية، لبنان، طبعة أولى، ١٩٨٣م.

ابن العبري: جمال الدين أبو الفرج غريغوريوس بن هارون الطبيب الملطي السرياني (ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م).

- تاريخ الزمان، نقل: إسحق أرملة، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م.

المجهول: الرهاوي (ت١٢٣٤م).

- تاريخ الرهاوي المجهول: ܡܟܬܒ ܙܒܢܐ ܥܠ ܫܢܝܐ ܥܠܡܝܐ ܘܥܕܬܢܝܐ ܥܕܡܐ ܠܫܢܬ ܐܠܦ ܠܡܫܝܚܐ عربة عن السريانية ووضع حواشيه: الأب ألبير أبونا، مطبعة النور، بغداد، ١٩٧٨م.

المرجي: توما (ت ق٩).

- الرؤساء، تعريب: ألبير أبونا، مطبعة ديانا، بغداد، ١٩٩١م.

المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٦م).

- مروج الذهب ومعادن الجوهر، عُني بتنقيحها وتصحيحها: شارل بلا، طبع: بربيه دي مينار وبافيه دي كرتاي، منشورات الجامعة اللبنانية، قسم الدراسات التاريخية، لبنان، ١٩٧٩م.

- التنبيه والإشراف، إشراف: لجنة تحقيق التراث، مكتبة دار الهلال، بيروت، ١٩٨١م.

المقدسي: شمس الدين أبي عبد الله مُحمَّد بن حمد بن أبي بكر (ت٣٨٠هـ).

- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، علَّق عليه ووضع حواشيه: مُحمَّد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن المقفع: ساويرس المصري القبطي أسقف الاشمونين (ت٣٩٠هـ/ ١٠٠٠م).

- تاريخ البطاركة، إعداد: الأنبا صاموئيل، مج١: من القديس مار مرقس الرسول حتَّى البابا يوساب (٥٢) النعام للطباعات والتوريدات، القاهرة، ١٩٩٩م.

ابن منظور: جمال الدين أبو الفضل مُحمَّد بن مكرم الأفريقي المصري (ت٧١١هـ/ ١٣١١م).

- لسان العرب، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٣م.
مارميخائيل السرياني الكبير (-١١٢٦م).
- تاريخ مار ميخائيل الكبير، ترجمة: مار غريغوريوس صليبا شمعون، دار ماردين، حلب، مطبعة ألف باء الأديب، دمشق، طبعة أولى، ١٩٩٦م.

ثانياً: المراجع العربية

إسحق، يوسف متى.
- التاريخ الزوقنيني المنحول لديونسيوس التلمحري، مجلَّة المجمَع العلمي العراقي، العدد الخاص بهيئة اللغة السريانية، المجلد الثامن، بغداد، ١٩٨٤م.
أيوب، «الخور فسقفوس» برصوم يوسف.
- دروس اللغة السريانية، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، ١٩٧١م.
الجميلي، رشيد حميد حسن.
- حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجرة، طرابلس، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية، ط١، ١٩٨٢م.
دريان، يوسف.
- لباب البراهين الجلية عن حقيقة أمر الطائفة المارونية منذ أوائل القرن الخامس إلى أوائل القرن الثالث عشر من القرون المسيحية، القاهرة، ١٩١١م.
الدوري، عبد العزيز.
- العصر العباسي الأول.. دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، دار الطليعة، بيروت.
زيدان، عبد الكريم.
- أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، جامعة بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م.
شير، آدي.
- تاريخ كلد وآثور، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩١٢م.
عيسى. حنان عبد المنعم عبد الحكم.
- الوجود الماروني في لبنان، دار نور حوران للدراسات والنشر والتراث، دمشق، ط١، ٢٠٢٣م.
- السريان.. تاريخهم الديني والحضاري خلال العصور الإسلامية المبكرة، دار نور حوران للدراسات والنشر والتراث، دمشق، ط١، ٢٠٢٤م.
اليسوعي، بوتمان.
- البطريرك طيموثاوس الأول أو الكنيسة والإسلام في العصر العباسي الأول. دراسة تاريخية وتحقيق لنص المحاورة بين البطريرك والخليفة المهدي، بيروت، دار المشرق، ١٩٧٧م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية

Etienne Quatremer.
- Mēmoir sur le Nabatéenes, nouveau journal asiatique, Paris: 1835.
Putman. Hans.
L›Église et l›Islam sous Timothée I (980-823): Étude sur l'Église nestorienne au temps des premiers ʿAbbāsides avec nouvelle édition et traduction du dialogue entre Timothée et al-Mahdi / Beyrouth: Dar el-Machreq, 1986.

الهوامش

١. المقصود بهم هنا كل مَن كان يتحدث اللغة السريانية في ذلك الوقت. والسريانية هي لهجة منبثقة من اللغة الآرامية التي كان يتحدثها سكَّان الشرق الأوسط تقريبًا قبل الفترة الإسلامية، حيث انتشرت في بلاد فارس والهند والجزيرة العربية وما يُعرف اليوم بقطر والإمارات والكويت والبحرين، وما يقابلها على الشاطئ الإيراني وفلسطين في الجنوب الغربي، وما بين النهرين شرقاً وتركيا شمالاً، وكانت آخر لغة سامية مكتوبة قبل العربية. وكان مهد السريان وموطن ازدهارهم هو نفس المكان الذي كانت فيه اللغة الآرامية تُعتبر لغة دولية في العصور القديمة.

٢. عبد العزيز الدوري: العصر العباسي الأول.. دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، دار الطليعة، بيروت. ص٧٥.

٣. الطَّبري: أبو جعفر مُحمَّد بن جرير (٢٢٤-٣١٠ هـ/ ٨٣٩-٩٢٣م): تاريخ الأمم والملوك، راجعه وصححه وضبطه: نُخبة من العلماء الأجلاء، منشورات مؤسَّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان. قوبلت هذهِ النسخة بنسخة مطبعة بريل، ليدن، ١٨٧٩، ص٢٣٤.

٤. الخطيب البغدادي، الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتَّى عام ٤٦٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١، ص٢٥-٢٦؛ الطَّبري: المصدر السابق، ص٢٣٨؛ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوز ي (ت٥٩٧هـ): مناقب بغداد، عُني بتصحيحه: مُحمَّد بهجة الأثري البغدادي، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٣٤٢هـ.

٥. عبد العزيز الدوري: مرجع سابق، ص٧٦.

٦. ومن أمثلة ذلك ما يلي يهودي من أنباط الشام. الجاحظ: الحيوان، شرح وتحقيق: عبد السلام مُحمَّد هارون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الجلبي وأولاده، الطبعة الثانية، ١٩٦٦، ج٤، ص٣٧. "كان أهل نينوى ممن سمينا نبيطاً وسريانيين والجنس واحد واللغة واحدة". المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، عُني بتنقيحها وتصحيحها: شارل بلا، طبع بربيه دي مينار وبافيه دي كرتاي، منشورات الجامعة اللبنانية، قسم الدراسات التاريخية، لبنان، ١٩٧٩، ج١، ص٢٥٣. "السريانيين الذين هم الكلدانيون ويُسمون سريان ولغتهم سورية وتسميهم العرب النبط". المسعودي: التنبيه والاشراف، ص١٦٦. "دخل دين النبط وهي بدعة الصابئة". ابن خلدون: العِبر في ديوان المبتدأ والخبر، ج٢، قسم ١، ص٣٤.

7. Quatremer Etienne: Mēmoir sur le Nabatéenes, nouveau journal asiatique, Paris: 1835, p.118.

٨. قام الخبراء في الآداب السريانية بتقسيم السريانية إلى قسمين: الشرقي والغربي، بناءً على الموقع الجغرافي والانقسام الكنسي الذي أدى إلى تجزئة الكنيسة السريانية إلى جماعاتٍ متنازعة في الشرق والغرب. وكانت اللهجة السريانية الشرقية هي التي تمثل القسم الشرقي، وتُسميها العرب "نبطية"، كما تُعرف أيضًا باسم "كلدانية"، وكانت بها تُكتب الترجمات اليهودية بالآرامية التي وضعها اليهود. وما زال اليهود يستعملونها حتَّى اليوم. وتشمل اللهجة الشرقية أيضًا اللهجة المندائية الخاصة بالصابئة المندائيين، واللهجة المانوية الخاصة بالمذهب المانوي التي نشأت في إطار الثقافة الآرامية الفارسية، بالإضافة إلى اللهجة السامرية التي اعتمدها اليهود الذين هاجروا من بين النهرين إلى فلسطين. واللهجة السريانية الشرقية تُعتبر اللغة الطقسية للكلدان والأثوريين (النساطرة سابقًا). أمَّا القسم الغربي فتمثله اللهجة (السريانية الغربية) وهي

اللغة الطقسية لليعاقبة والملكانيين والموارنة، وتُسمى اللهجة الرهاوية. أنظر: الخور فسقفوس برصوم يوسف أيوب: دروس اللغة السريانية، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، ١٩٧٠، ص٣٤.

٩. البلاذري، الإمام أبي العباس أحمد بن يحيى بن جابر: فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، مؤسَّسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٧م-١٤٠٧هـ، ص٢٠٥، ١٨١؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ص٨.

١٠. تتلخص النصيحة في التنبيه على أن تكون دجلة والفرات خنادق للمدينة، كما أنَّ الميرة أو المدد يأتيه إليها من كل مكان بسهولة، وأنَّ العدو لا يأتي إليه إلَّا على جسور، فإذا قُطِّعت وخربت لا يصل العدو إليه، وأنَّ الموقع متوسط بين البصرة والكوفة وواسط والموصل والسواد وقريب من البر والبحر والجبل فازداد المنصور تمسكاً بفكرة بنائها. المقدسي، شمس الدين أبي عبدالله مُحمَّد بن حمد بن أبي بكر (ت٣٨٠هـ): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، علَّق عليه ووضع حواشيه: مُحمَّد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص١١٠؛ الطَّبري: مصدر سابق، ج٦، ص٢٣٦.

١١. الخطيب البغدادي: مصدر سابق، ص٦٦. وردت الرواية في الطَّبري على أنه طبيب وليس راهب ومقلاصاً وليس نقلاصاً. المصدر السابق، ج٦، ص٢٣٤،٢٣٥.

١٢. الطَّبري: المصدر السابق، ج٦، ص٢٣٨. وأبو الدوانيق لقب أُطلق على المنصور بسبب حبه لجمع المال.

١٣. وهي نفس الصيغ الآرامية الباقية إلى الآن في جبل لبنان، مثل بانقوشا، بحسيتا، بكركي، باصفرا، بعشيقا. حنان عبد المنعم عبد الحكم عيسى: الوجود الماروني في لبنان، دار نور حوران للدراسات والنشر والتراث، ط١، دمشق، ٢٠٠٤، ص١٤٣.

١٤. الخطيب البغدادي: مصدر سابق، ص٥٩.

١٥. المصدر السابق، ص٦٦-٦٧.

١٦. المصدر السابق، ص٦٩؛ الطَّبري: مصدر سابق، ص٢٦٨. راجع: عبدالعزيز الدوري: مرجع سابق، ص٧٨.

١٧. يوسف متى إسحق: التاريخ الزوقنيني المنحول لديونسيوس التلمحري، مجلَّة المجمَع العلمي العراقي، العدد الخاص بهيئة اللغة السريانية، المجلَّد الثامن، بغداد، ١٩٨٤، ص١١٨، ٥٦.

١٨. وفي بلاد فارس لجأ علماء الرها السريانيون ذوو الثقافة اليونانية (١٢) إليها هرباً من الاضطهاد البيزنطي، حاملين كتبهم سواءٌ الأصيل منها أو المترجم، إلى منفاهم الجديد، وذلك حين أُغلقت مدرسة الرها أبوابها في وجه سريان فارس حوالي (٤٨٩م) بأمر الإمبراطور "زينون"، باعتبارهم خارجين عن الدين، فأحسن ملك الفرس "سابور الأول" (٢٤١-٢٧٢م) استقبالهم وبني لهم مدينة جنديسابور والتي نُسبت إليه، حيث اتخذها موطناً لهم وسمح لهم بممارسة شعائرهم بحرية، وأسَّس لهم كسرى الأول" أنوشروان" ((٥٣١-٥٧٨ مدرسةً كانت منبعاً للثقافة الإغريقية، وكانت تقدم هذهِ العلوم بلغة آرامية بالإضافة إلى الفارسية، دخل السريان فارس في القرن الخامس الميلادي بوصفهم من الروم؛ لأنهم كانوا رعايا الدولة الرومية، ولقد لعب هؤلاء دوراً هاماً في تاريخ المنطقة الأدبي والعلمي كرعايا لدولتين عريقتين "فارس وبيزنطة"، واستمروا في العطاء حتَّى شاركوا في النهضة العلمية لدولة الإسلام. ومن الجدير بالذكر أنَّ وصول "جيورجيوس" الطبيب ربيب مدرسة جنديسابور إلى بغداد كان بداية لدخول الطب اليوناني إلى ربوع الدولة الإسلامية. أنظر: ادي شير، تاريخ كلد وأثور، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩١٢، ج٢، ص١٣٨.

١٩. الجهشياري: الوزراء والكتَّاب، حقَّقه ووضع فهارسه:

مصطفى السقا، إبراهيم الابياري، عبد الحفيظ شلبي، قدَّم للطبعة: عطية أحمد القوصي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، شركة الأمل للطباعة والنشر، ٢٠٠٤، ص٤٠.

٢٠. عبد الكريم زيدان: أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، جامعة بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م، ص٧٩.

٢١. ابن عبد ربه: العِقد الفريد، تحقيق: مفيد مُحمَّد قميحة، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، ٣١٩٨، ج١، ص٣١٨؛ ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٣م، كلمة (نبط).

٢٢. حيث سبقها بناء سور ملطية سنة (١٣٩ هـ/ ٧٥٧م)، ثم بناء المصيصة سنة (١٤١هـ/ ٧٥٩م)، وتلاها مثل بناء مدينة الرصافة سنة ١٥١هـ (٧٦٩م)، وبناء الرافقة سنة ١٥٥هـ(٧٧٢م)، وإضافة خندق وسور لكل من البصرة والكوفة في السنة نفسها. الطَّبري: ج٦، ص٢٩٧، ٢٣٤، ١٤٤.

٢٣. أمر أبو جعفر بإعادة بناء ملطية ووضع فيها جيشاً، كما أمر بإعادة بناء مدينة ثاودوسيوبوليس الأرمنية، ووضع فيها حامية. مار ميخائيل السرياني الكبير (١١٢٦م): تاريخ مار ميخائيل الكبير، ترجمة: مار غريغوريوس صليبا شمعون، دار ماردين، حلب، مطبعة ألف باء الأديب، دمشق، طبعة أولى، ١٩٩٦، ج٢، ص٤١٦.

٢٤. تاريخ الزوقنيني المنحول لدونسيوس التلمحري: ترجمة: بطرس قاشا، تعليق: سهيل بطرس قاشا، منشورات المكتبة البولسية، ٢٠٠٦، ص٣٢.

٢٥. يوسف متى إسحق: مصدر سابق، ص١٢٩-١٢٨.

٢٦. ابن المقفع: تاريخ البطاركة ؛ إعداد: الأنبا صاموئيل، مج ١: من القديس مار مرقس الرسول حتَّى البابا يوساب (٥٢)، النعام للطباعات والتوريدات، القاهرة، ١٩٩٩، ص١٩٣-١٩٢.

٢٧. ساويرس بن المقفع: مصدر سابق، ص١٩٣؛ تاريخ إيليا برشينايا؛ ܡܟܬܒܢܘܬܐ ܕܙܒܢܐ / ܕܐܠܝܐ ܒܪ ܫܝܢܝܐ(٩٧٥-١٠٥٦م)؛ ترجمة وتعليق: يوسف حبي، مجمَع اللغة السريانية، بغداد، ١٩٧٥، ص١٦٤.

٢٨. تاريخ ميخائيل السرياني، ج٢، ص٤١٩.

٢٩. تاريخ إيليا برشينايا، ص٧١.

٣٠. تاريخ ميخائيل السرياني، ص٤١٦.

٣١. ساويروس بن المقفع: تاريخ البطاركة، الباترولجيا الشرقية، ج٥، ص٢١٤.

History of the Patriarchs of the Coptic Church of Alexandria: Agathon3 to Michael I (766) Arabic Text edited, translated and annotated by B. Evetts, Patrologia Orientalis (5) / R. Graffin, F. Nau, Librairie de Paris،france, 1910, p.214.

٣٢. تاريخ ميخائيل السرياني، ج٢، ص٤٢٠.

٣٣. الطَّبري: مصدر سابق، ص٣٤٢.

٣٤. ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق: نزار رضا منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٦، (مجلد واحد)، ص١٨٣.

٣٥. ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق، ص١٨٤.

٣٦. وهذهِ الأبيات التي صاغها عيسي بن الحسين الوراق، يصف فيها أحوال بعض النبط قبل وبعد اغتنائهم. يقول فيها:

صنع من الله أني كنت أعرفكم

قبل اليسار وأنتم في التبابين

فما مضت سنة حتى رأيتكم

تمشون في القز والقوهي واللين

فصرن يرفلن في وشي العراق

وفي طرائف الخز من دكن وطاروني

وٌافرجوا عن مشارات البقول

إلى دور الملوك وأبواب السلاطين

أنظر: الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن مُحمَّد الأموي القرشي(ت٣٥٦هـ/ ٩٦٧م): الأغاني، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١، ج١٤، ص١٣٧-١٣٥.

٣٧. ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق، ص٢٠٣.

٣٨. المصدر السابق، ص٢٤٧؛ رسائل الجاحظ، الرسائل الكلامية، قدَّم لها وبوبها وشرحها: علي أبو ملحم، دار ومكتبة الهلال، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٧، ص٣٥.

٣٩. ماري بن سليمان (ت٥٢٣هـ/ ١١٣٠م): فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل، طبع رومية، ١٨٩٩م، ص٧١.

٤٠. تاريخ ميخائيل السرياني، ج٣، ص١٩.

٤١. بمساعدة أبي نوح الأنباري، كاتب موسى بن مصعب والي الموصل، عاصر كل من الخليفة المهدي والهادي والرشيد والأمين والمأمون. ماري بن سليمان: مصدر سابق، ص٧٤.

٤٢. ويقصد بها: دينار أو درهم، أو نقود في السريانية.

43. Hans Putman: L'Église et l'Islam sous Timothée I (980-823): Étude sur l'Église nestorienne au temps des premiers ʿAbbāsides avec nouvelle édition et traduction du dialogue entre Timothée et al-Mahdi / Beyrouth: Dar el-Machreq, 1986, p.85.

٤٤. أنظر: جزءًا من نص رسالة طيماثوس الجاثليق إلى رهبان مار مارون يوسف دريان: لباب البراهين الجلية عن حقيقة أمر الطائفة المارونية منذ أوائل القرن الخامس إلى أوائل القرن الثالث عشر من القرون المسيحية، القاهرة، ١٩١١، ص١٧٣-١٦٨.

٤٥. استطاع طيماثوس تعميد الأهالي من الديالمة والجيلان وأذربيجان وبناء الكنائس، وأقام لهم الشمامسة والقساوسة، فكان يُبشر الوثنيين والمرقيونيين والمانويين ومن يقدسون الشجر والنار. أنظر: توما المرجي (ق ٩): الرؤساء، تعريب: ألبير أبونا، مطبعة ديانا، بغداد، ١٩٩١، ص١٣٣، ١٣٧، ١٣٨.

٤٦. دير الجاثليق أو دير كليليشوع: مقال نشر في مجلة ربنوثا، السنة الثامنة، العدد ٢٧، كانون الأول، ٢٠٠٣.

٤٧. وقد تطرقا فيها إلى موضوعات في صلب كلٍ من العقيدة المسيحية والإسلامية. بوتمان اليسوعي: البطريرك طيموثاوس الأول أو الكنيسة والإسلام في العصر العباسي الأول: دراسة تاريخية وتحقيق لنص المحاورة بين البطريرك والخليفة المهدي، بيروت، دار المشرق، ١٩٧٧، ص٥١-٦.

٤٨. تاريخ ميخائيل السرياني، ج٣، ص٥٤؛ تاريخ الرهاوي المجهول (ت١٢٣٤م): ܡܟܬܒܢܘܬ ܙܒܢ̈ܐ ܥܠ ܥܕ̈ܬܐ ܥܠܡܢ̈ܝܐ ܘܥܕܬܢ̈ܝܐ ܥܕܡܐ ܠܫܢܬ ܐܠܦ ܠܡܫܝܚܐ، عربه عن السريانية ووضع حواشيه: الأب البير أبونا، مطبعة النور، بغداد، ج٢، (مجلد واحد)، ١٩٧٨م، ص٤٨؛ ابن العبري، جمال الدين أبو الفرج غريغوريوس بن هارون الطبيب الملطي السرياني (ت٦٨٥ هـ/ ١٢٨٦م): تاريخ الزمان، نقل: إسحق أرملة، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦، ص٣١-٣٠.

٤٩. تاريخ ميخائيل السرياني، ج٣، ص٥٩، ٥٨، ٥٦، ٥٤.

٥٠. تاريخ ميخائيل السرياني، ج٣، ص٥٤؛ تاريخ الرهاوي المجهول (ت١٢٣٤م): ص٤٨؛ ابن العبري: مصدر سابق، ص٣١-٣٠.

تاريخ ميخائيل السرياني، ج٣، ص٥٩، ٥٨، ٥٦، ٥٤.

ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق، ص١٩٠، ٢٣٤.

٥١. المصدر السابق، ص٢٠٠-١٩٨.

٥٢. رشيد حميد حسن الجميلي: حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجرة، طرابلس، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية، ط١، ١٩٨٢، ص٣٣.

٥٣. ماري بن سليمان: بطاركة كرسي المشرق، ص٧٧.

٥٤. أنظر: حنان عبد المنعم عبد الحكم عيسى: السريان.. تاريخهم الديني والحضاري خلال العصور الاسلامية المبكرة، دار نور حوران للدراسات والنشر والتراث، ص٢٤٠.

٥٥. رشيد حميد حسن الجميلي: مصدر سابق، ص٩٠.

٥٦. ابن أبي أصيبعة: عيون الانباء، ص١٩٦.

٥٧. بدر الدين أبو مُحَمَّد عبد الرحمن بن إبراهيم بن قنينو (ت٧١٧هـ/ ١٣١٧م): خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، مرخص من مجلس معارف الولاية. ص١٢٣-١٢٢.

٥٨. ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص١٩٥-١٩٤.

٥٩. تاريخ ميخائيل السرياني، ج٣، ص٧٢.

٦٠. ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص٢٠٢.

Conditions of the Syriacs and Their Influence in Baghdad During the Second and Third Centuries AH / Eighth and Ninth Centuries AD

Dr. Hanan Abdel Moneim Abdel Hakim Issa

Abstract

The capital of the Islamic state was relocated from the city of Medina on the Arabian Peninsula to the northern regions of Syria and Iraq, which were populated by the Syriac-Aramaic ethnic groups. This relocation was orchestrated by Muawiyah ibn Abi Sufyan, who transferred the Islamic caliphate's capital to Damascus in (41-132 AH/662-750 AD) When the Abbasid state was established, the second caliph of the Abbasids, Abu Ja'far al-Mansur, commenced the quest for a new city to serve as the capital. The genesis of the city had a strong connection to the Syriac-Aramaic culture, as documented in our research. Furthermore, we have meticulously examined the extent of material and spiritual sacrifices made by the Syriac groups to establish the foundations of the state, fortify its structure, and construct its capital, Baghdad.

Subsequently, our research delved into the transformation of circumstances after the stabilization of the state, the reinforcement of its structure, and the completion of the capital, which became the seat of the Abbasid dynasty. Baghdad flourished, becoming a center of wealth, prosperity, and grandeur, attracting those aspiring to ascend, including the Syriac-Aramaic element as an essential component of the original population due to their dedication, intelligence, love for knowledge, and culture. The significance of this research lies in its portrayal of the city of Baghdad in the minds of the Syriac-Aramaic communities and in their historical writings. They played a crucial role in contributing to the resurgence of the Abbasid state, particularly in the years following the establishment of Baghdad as the capital. This period allowed everyone to delve into the ancient sources of civilization through the translation movement and social interaction. The fusion of the two elements led to a significant exchange of knowledge and experiences in this small region, which ultimately had a profound impact on the entire world.